مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هداية القرآن الكريم ودورها في ترسيخ ثقافة التعايش السلمي

اسم الباحث/ـة

أ.د/ كمال لدرع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

ومن المعلوم أن التعايش السلمي من القضايا الكبرى التي أثارها القرآن الكريم ضمن رؤيته الكونية الشاملة، فحثّ عليه في نصوص متعددة، منها قوله تعالى: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) الكافرون:٦، لما له من أثر طيب وفعال في انتشار الأمن والاستقرار في المعمورة، مما يُمَكِّن من تحقيق التعاون بين الناس الدول، وتبادل المنافع بين المجتمعات، ورعاية حقوق الإنسان وحماية الشعوب الضعيفة والفقيرة.

إن تعاليم القرآن الكريم السمحة هي الكفيلة بتحقيق التعايش السلمي في العالم، فهي تشكل منظومة متكاملة، ومشروعا واقعيا لتحقيق العيش بسلام بين الإنسان وأخيه الإنسان، على اختلاف جنسه وديانته وثقافته وعرقه ولونه ولسانه؛ فالنزاعات المسلحة واستعمال القوة وعدم الحوار في حل الخلافات، وطغيان الأنانية، والتنافس المذموم، كلها أدت إلى الدمار ونهب الثروات وإزهاق الأرواح، وتشريد الملايين، وتوسيع رقعة الفقر...

فالهداية القرآنية تهدف إلى بناء الإنسان المتسامح المسالم، ومن خلاله إصلاح المجتمع، وبناء عالم إنساني قائم على قيم التعاون والسلم والاحترام المتبادل، ونبذ الحروب، ومنع الاعتداء والتقاتل، ولا يتأتى ذلك إلا في ظل تعايش سلمي حقيقي بين الجميع.

فالقرآن الكريم جاء بمفاهيم صحيحة لمعنى التعايش السلمي ومقاصده والسامية، وغايته أن يصبح مشروعاً واقعياً ينشأ عليه الإنسان فكراً وسلوكاً، وتنخرط فيه جميعُ الدول، وترعاه المؤسسات والمنظمات العالمية، هذا التعايش بالمنظور القرآن هو الذي يحدث أثره في رعاية حقوق الإنسان وإشاعة الأمن.

وموضوع هذه الورقة البحثية هو بيان **هداية القرآن الكريم ودورها في ترسيخ ثقافة التعايش السلمي**. ذلك أن الموضوع التعايش السلمي رغم أنه كان محل بحث من قبل المختصين، وما تمت حوله من دراسات متنوعة ومفيدة، إلا أنه

بحاجة إلى مزيد من البحث خاصة في ظل النظرة القرآنية الشاملة، والدراسة التأملية العميقة فيه، فهو "لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا تَفْنَى معَانِيه وَفيه خَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ إلى قيام السَّاعَة".

أهداف الورقة البحثية:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تحقيق الآتي:

١. إبراز أهمية النظرة القرآنية لقضية "التعايش السلمي".

٢. بيان دور الهداية القرآنية في تحقيق مقصد التعايش السلمي.

٣. بيان دور القرآن الكريم في بناء ثقافة التعايش السلمي

٤. إبراز ثمرات التعايش السلمي في نشر الأمن وتحقيق الاستقرار.

منهج البحث:

والمنهج العلمي في إعداد الورقة البحثية يكون باستقراء وتتبع النصوص ذات الصلة بالموضوع، ثم الوصف والتحليل، ثم استخلاص المعاني.

خطة الورقة البحثية:

المقدمة

أولاً: التعايش السلمي في القرآن الكريم: المفهوم، المقصد:

١. مفهوم التعايش السلمي.

٢. شمولية مفهوم التعايش السلمي.

٣. مقاصد التعايش السلمي.

ثانياً: الاختلاف والتنوع عامل تكامل وتعاون لا سبب تنافر وتباعد:

ثالثاً: مبادئ التعايش السلمي في القرآن الكريم:

١. كرامة الإنسان واحترام ذاته.

٢. العدل.

٣. المساواة.

رابعاً: التعايش بين أهل الأديان من خلال القرآن الكريم: (أهل الكتاب أنموذجاً)

خامساً: مقومات وعوامل تحقيق التعايش من خلال القرآن الكريم

المقوم الأول: الأخوة الإنسانية بين البشر:

المقوم الثاني: عدم الإكراه والسيطرة

المقوم الثالث: الحوار والجدال بالتي هي أحسن

المقوم الرابع: العفو والتسامح

المقوم الخامس: الوفاء بالعهود والمواثيق

سادساً: مستويات بناء ثقافة التعايش السلمي:

المستوى الأول: بناء ثقافة التعايش السلمي عند الفرد المسلم

المستوى الثاني: بناء ثقافة التعايش داخل المجتمع الإسلامي

المستوى الثالث: بناء ثقافة التعايش في دائرة المجتمع الإنساني

سابعاً: أثر وثمرات التعايش السلمي

١. إشاعة الأمن في العالم

٢. التعاون

٣. محاصرة ظواهر التطرف:

الخاتمة.

أولاً: التعايش السلمي في القرآن الكريم: المفهوم، المقصد:

١. مفهوم التعايش السلمي:

أ- تعريفه لغة:

كلمة صارت معروفة ومستعملة ومتداولة في مجال الفكر والسياسة وحقوق الإنسان والعلاقات الاجتماعية والإنسانية[١]. والتعايش لغةً: مصدر تعايش، تعايشًا، فهو مُتعايش، وأصل كلمة التعايش من كلمة "عَيَشَ"، والعين والياء والشين أصل صحيح يدلّ على حياة وبقاء[٢].

ويأتي التعايش في اللغة بمعنى: العيش على الأُلفة والمَوَدَّةِ، وتعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، وهو علاقة بين طرفين أو أكثر، ومنه التعايش السلمي. والعيْشُ: الحياة، تقول: عاشَ يَعيشُ عيْشًا ومعاشا ومعيشا ومعيشة وعيشة بالكسر. والمعِيشة: التي تعيش بها من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة، وما يُعاش به أو فيه، ويقال: رجل عايِشٌ أي له حالة حسنة[٣].

وردت كلمة العيش باشتقاقات متعددة في القرآن الكريم لكن لم ترد باشتقاق تعايش، كقوله تعالى: (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) الحاقة:٢١، والعيشة: اسم مصدر العيش كالخيفة اسم للخوف[٤].

---

[١] الباحث م.د. ميثاق موسى عيسى، كلية الاثار-جامعة ذي قار، التعايش السلمي عند رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في الوقت الحاضر، بحث مقدم الى المؤتمر الوطني حول "الاعتدال في الدين والسياسة" يومي ٢٢ و٢٣ اذار ٢٠١٧، الذي عقد من قبل مؤسسة النبأ للثقافة والاعلام ومركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة كربلاء ومركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية، متاح على موقع https://annabaa.org/arabic/studies/21191، بتاريخ ٢٠٢٢/٠٩/٢٤

[٢] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ط سنة ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م، ج:٤، ص:١٩٤

[٣] الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ص:٥٩٩ — المعجم الوسيط، ج:٢، ص:٦٣٩

[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٣١، ص:٥١٤

ب- **تعريفه اصطلاحاً:**

لا نجد عند المتقدمين تعريفاً للتعايش السلمي، فهو مصطلح حديث، وإن كان معناه قديم، ومبثوث في نصوص الكتاب العزيز وتفاسيره والسنة النبوية وشروحها، وفي كتب السياسة الشرعية وغيرها.

وقد ذكر الباحثون المعاصرون للتعايش مجموعة من التعريفات، منها: (اجتماع مجموعة من الناس في مكان معين ترتبهم وسائل العيش في المأكل والملبس وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى يعرف كل منهما بحق الآخر)[1]. أو هو: (نبذ الحرب كوسيلة لتسوية الخلافات الدولية واعتماد المفاوضات والتفاهم المتبادل واحترام السيادة للدول الأخرى والإقرار بالتكافؤ والمنفعة المتبادلة كأساس في العلاقات الدولية)[2].

وقيل: (وجود بيئةٍ يسودها التَّفَاهُم بَيْنَ فئات المجتمع الواحد بَعِيدًا عَنِ الحروبِ أو العنف)[3]. ومنه: (الاشتراك في الحياة على الألفة والتعاون، ونبذ الحرب، وعدم اعتماده وسيلة لتسوية الخلافات، والتمسك بالمفاوضات والتفاهم المتبادل، والإقرار بالتكافؤ، واعتبار المنفعة المتبادلة أساساً في العلاقات بين الأفراد، والجماعات، والطوائف الدينية، والدول)[4]. وقيل في

---

(1) فوزي خيري كاظم، التعايش السلمي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق – دراسة وصفية تحليلية، منشور على موقع https://aijhssa.us/، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٠١.

(2) الباحث م.د. ميثاق موسى عيسى، كلية الاثار-جامعة ذي قار، التعايش السلمي عند رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في الوقت الحاضر، المرجع السابق

(3) التعايش السلمي وفقه المواطنة في الإسلام، متاح على موقع https://www.alshareyah.com/، تاريخ الاطلاع ٢٠٢٣/١٢/٠١

(4) مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم، مشكلة الحرب والسلام، ترجمة شوقي جلال وسعد رحمي، دار الثقافة الجديد، مصر، ص:٢١٠ – مصطفى اليربوعي، لمحة عامة عن التعايش السلمي بين أهل الكتب السماوية في القرآن الكريم، متاح على موقع https://www.arrabita.ma/blog/، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١

معناه أيضاً: "التواصل مع الآخر بجميع أشكال التفاعل والتعاون والتكامل الإيجابي البناء المنبثق عن الإحسان والرفق والرعاية والعناية بين المسلم فردا ومجتمعا والآخر فرداً ومجتمعاً؛ بغية الوصول لما فيه مصلحة الطرفين دينيًّا ودنيويًّا حالًا ومآلًا، وينتظم هذا التعاون جانب الفكر والاجتماع والسياسية والاقتصاد والثقافة والتربية"[١].

ومن خلال هذه التعاريف المتعددة لمصطلح "التعايش السلمي"، يتبين من جميعها أنها تشترك في التعبير عن العلاقات السّلمية بين الناس، بعيدة عن العدائية والتصادم، ويسودها التعاون والتقارب وتبادل المنافع وإن اختلف أطراف العلاقة في الجنس واللغة والدّين والجغرافيا وغيرها[٢]. ومن الخطأ حصر مفهوم التعايش السلمي في احترام حق الغير في معتقداتهم ومقدساتهم، وفي ممارسة شعائرهم الدينية داخل أماكن العبادة دون تقييد أو اعتداء[٣]، فهذا المعنى مما يشمله مفهوم التعايش ولا يقتصر عليه.

٢. شمولية مفهوم التعايش السلمي:

إن القرآن الكريم يطرح مسألة التعايش السلمي كمبدأ أساس تقوم عليه العلاقات الإنسانية، وكضمان لتجاوز الكثير من الخلافات والنزاعات؛ إنه يطرحه كمبدأ شامل يسع كل الطوائف والجماعات والمجتمعات على اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم. فهو يشمل علاقة المسلمين ببعضهم البعض داخل المجتمع الواحد، كما يشمل علاقة المسلمين بغيرهم من أصحاب الملل والديانات الأخرى. كما أن مفهوم التعايش يستوعب كل المجالات والعلاقات والمصالح التي يمكن أن تكون بين البشر، فهو يشمل التعايش الديني، باحترام كل طرف

---

[١] التعيش السلمي وفقه المواطنة في الإسلام، المرجع السابق.

[٢] فوزي خيري كاظم، التعايش السلمي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق – دراسة وصفية تحليلية، المرجع السابق.

[٣] التعايش السلمي وفقه المواطنة في الإسلام، المرجع السابق.

لدين الآخر دون تقييد أو اعتداء، وممارسة شعائره بحرية وأمان؛ ويشمل التعايش العرقي، فليس عرق بأفضل من عرق، فكل الأعراق تنتهي إلى آدم وآدم من تراب.

والتعايش اللغوي، واللغة وسيلة التخاطب والتواصل، ولكل مجتمع أو شعب لغته، وقد تتعدد اللغات واللهجات في البلد الواحد كما في الهند، وبعض بلدان إفريقيا. والتعايش المذهبي والفكري، وقد يطرح ذلك حتى بين المسلمين أنفسهم، فتعدد المذاهب الفقهية واتباع كل طائفة لمذهب ما لا يعني الأفضلية والتميز، فهي اجتهادات فقهية للأئمة والعلماء في فهم النصوص وتنزيلها، وقد تعايشت هذه المذاهب قرونا طويلة، ولعبت دورا كبيرا في الثراء الفقهي والعلمي وتوسيع المعرفة، وقد كان للصحابة رضي الله عنهم آراء واجتهادات وفتاوى مختلفة، ومن الخطأ التشنيع على تلك المذاهب وأتباعها، لأنها كلّها ترجع إلى فهم الكتاب والسنة. ومنه التعايش الاقتصادي، فالاقتصاد قوام الدول، وأساس نهضتها، وسبيل رفاهيتها، ويقتضي ذلك أن تتعايش الدول وتتعاون فيما بينها لتنتفع بما عند بعضها البعض من ثروات وخيرات، فالتكامل الاقتصادي ممكن بين الدول، كما بين الدول العربية أو بين الدول الإسلامية، فالقوة والاستغلال والنهب ليس وسيلة حضارية لتطوير اقتصاديات الدول؛ فما خلق الله تعالى في الأرض من خيرات يكفي الجميع ويطعم الجميع، فالاستئثار بالثروة وحرمان الغير منها يؤدي إلى مزيد من العداوة والتفرق والمؤامرات، وخلق طبقية دولية، دول غنية ودول فقيرة، كما أنه جعل شعوبا تعيش الفقر المذق وسوء التغذية وظهور أمراض خطيرة نتيجة ذلك.

إن التعاون الاقتصادي وإقامة علاقات تجارية على أساس من الاحترام والتعاون هو السبيل لتحقيق التنمية والتطور والرقي لكل الشعوب. فانقسام العالم إلى دول غنية تستأثر بالثروة ودول فقيرة محرومة حتى من ثرواتها

الباطنية يناقض العدل ويخل بالتوازن العالمي، ويؤدي إلى مزيد من الصراعات والحروب والسباق نحو التسلح من أجل السيطرة والهيمنة. وقد اتخذت بعض الدول القوية من الاقتصاد وسيلة للضغط على الدول الضعيفة للتدخل في شؤونها الداخلية وفرض سياستها عليها، مما أدى إلى تأزيم الأوضاع في نقاط مختلفة في العالم، والتحريض على الانقلابات والتحريش بين أبناء البلد الواحد لخلق عدم الاستقرار لنهب ثرواته، ولا أدل على ذلك من إفريقيا، فهي تنام على ثروات منجمية كبيرة من معادن ثمينة وغيرها، لكنها تعيش الفقر والحرمان.

إن التعايش الاقتصادي بين الدول كفيل بتحقيق التكامل الصناعي والتجاري بين الدول، وتأمين الغذاء لكل الشعوب.

ثم التعايش الثقافي والحضاري، فالشعوب والدول ذات ثقافات مختلفة، وانتماءات حضارية متعددة، وهو ثراء وتنوع إيجابي يقوي الروابط، ويحقق التكامل الإنساني. فالثقافات تتعايش وتتلاحق، ويثري بعضها بعضا، وقد رأينا دول تجتمع في تكتلات إقليمية وعالمية، وتبحث عن قواسم مشتركة بينها لكي تحقق التعاون بينها. وهو معنى أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات:١٣، فهذه الآية تبين ما عند الشعوب من قواسم مشتركة وعناصر تقاطع بينهما يجعلها تتقارب لكي تحقق التعارف الذي يثمر التعاون والتقارب والترابط

٣. مقاصد التعايش السلمي:

نتجاوز مسألة التأصيل الشرعي لمصطلح التعايش السلمي، فعدد النصوص من الكتاب والسنة التي تؤصّل لمشروعيته كثيرة، وواردة في وقائع متفرقة خاصة وعامة مما سيأتي ذكره في حينه، وقد كان الإسلام سبّاقاً في الحث على التعايش بين البشر.

إن الله سبحانه وتعالى بحكمته وعلمه جعل الإنسان خليفةً في الأرض، فأنزل آدم وزوجه إلى الأرض، ليكونا وذريتهُما عابدين لله تعالى، يعمرونها بالخير والصلاح، ويؤدون رسالة الله تعالى ويحققون الغاية من خلقهم جميعا المتمثلة في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) الذرايات:٥٦، ويلبون نداء ربهم سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة:٢١.

لكن منذ أن انطلقت الحياة البشرية على وجه وهي تعيش صراعات ونزاعات يوسوس بها الشيطان، ويتسارع إليها مرضى النفوس، ويغري بها المغرضون، هذه الحياة التي ابتدأت بأبشع جريمة وهي القتل، فقتل أحد أبناء آدم أخاه الآخر، قال تعالى: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) المائدة:٣٠، وصار ذلك الفعل القبيح سنة في الناس يحمل وزرها ابن آدم الأول، فعن **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»**[1].

ومما يعجب له ذو عقل ما يرى من حال البشر، فهم تظلّهم كلّهم سماء واحدة، وتشرق عليهم جميعا شمس واحدة، و يعيشون في أرض واحدة وهي تسعهم جميعا، قال تعالى: (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) العنكبوت:٥٦، وأقواتها تكفيهم كلّهم، قال تعالى: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ) فصلت:٩و١٠، ورزقها تولى الله تعالى توزيعه على عباده بنفسه، فقال: (وَمَا

---

[1] رواه البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، رقم:٣٣٣٥ – ومسلم، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَابُ بَيَانِ إِثْمِ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ، رقم:١٦٧٧

مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) هود:٠٦، ولم يكل أمره إلى أحد من خلقه وإلا لبخلوا به وشحّوا، قال تعالى: (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا) الإسراء:١٠٠، لكنهم آثروا الحرب على السلم، ورغبوا في العداوة على المسالمة، وفضّلوا الانتقام على التسامح، واختاروا القطيعة على المصالحة، وجعلوا القوة والعنف سبيلا لحل خلافاتهم بدل الرفق واللين، واستنكفوا عن الحوار فتوسعت بينهم العداوة والبغضاء، وهم يرون ما تحصده أوضاعهم المخالفة لهدى القرآن الكريم من ويلات ودمار وتقتيل. لقد اتبعت خطوات إبليس، واستنكفت عن هداية ربّها وصراطه المستقيم، وقد جاءت النصيحة الربانية متكررة للناس كافة وللمؤمنين خاصة بعدم اتباع سُبل الشيطان، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) البقرة:١٦٨، وقال جلّ شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) البقرة:٢٠٨، وقال سبحانه وتعالى: (كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) الأنعام:١٤٢.

لقد دعا الله تعالى البشريةَ جميعا في آيات كثيرة من كتابه العزيز إلى إتباع تعاليمه السمحة، والبعد عن الحروب والعداوات، والعيش معًا في سلام، في عالم يسوده السّلم، وتُحترم فيه الحريات العامة، وتُكفل فيه حقوق البسطاء والمستضعفين، ويُنْتَصر فيه للضعيف المظلوم على القوي الظالم.

إن البشرية لم تجن من الحروب إلا الدماء والخراب والدمار وإزهاق أرواح المدنيين الأبرياء من النساء والأطفال والشيخ والعاجزين، وترويع وتشريد الآمنين، وهذا الوضع ليس طبيعيا، ولم تدعو إليه أية شريعة من الشرائع. فلا يجب أن يستمر، وليس من الطبيعي أن تعيش الشعوب في اللاستقرار، ولا يمكن لها أن تقبل به، لأن فيه هلاكها جميعا. فكان من الضروري أن تتجه

الدول والشعوب إلى أن التعايش والتعاون، وأن تجعل من السلم الأصل في علاقاتها الدولية، وأن تتخذ من الحوار سبيلا لحل كل نزاعاتها واختلافاتها السياسية الإقليمية والدولية.

إن الإسلام ينظر إلى التعايش وقبول الآخر على أنه مقصد شرعي عظيم، لأنه السبيل الوحيد للعيش بسلام على وجه الأرض، فلغة القوة والعصا لا يأتي منها إلا الشر، وهي لغة ينتهجها مرضى النفوس، المتعطشون للدماء، الذين يتلذّذون بإذلال الآخرين، وهو سلوك من لا يكن سويا في نفسه، وهو نمط عيش الحيوانات في عالمها الغابي، التي حُرمت من نعمة العقل والحوار والنظر في العواقب.

فالإسلام يعتبر مقصد التعايش الأصل في العلاقات الإنسانية على اختلاف أعراقهم ولغاتهم، فإذا سادت ثقافةُ التعايش بينهم حلَّ الأمن والاستقرار، وإذا غابت تلك الثقافة ساد الخوف والاعتداء.

بل إن الإسلام يجعل من علاقة المسلمين فيما بينهم على اختلاف طبقاتهم هو التعايش على أساس أخوة الدّين، فلا تدابر ولا تحاسد ولا تباغض، ثم هو الأصل في علاقتهم مع غيرهم المخالفين لهم في العقيدة.

إن التعايش السلمي مطلب إنساني، نزلت به الكتب ودعت إليه الأنبياء والرسل، يتماشى مع طموحات الشعوب، وتتشوف إليه النفوس، وهو الكفيل لمنع الحروب وتجنب النزاعات المسلحة، والتقليل من الصراعات والخلافات التي غالبا ما تؤدي إلى التوتر والتباعد بين الدول.

إن الإسلام يحب السلم ويدعو إليه ويحث عليه أتباعه، وينبذ الحرب، ويدعو الشعوب جميعا إلى التعايش والتعاون على أساس الأخوة الإنسانية، حتى يعيشوا في أمن وسلام وتعاون.

ثانياً: الاختلاف والتنوع عامل تكامل وتعاون لا سبب تنافر وتباعد:

يخبر الله سبحانه وتعالى عن حِكم خلقه في الكون وعن سنته في الخلق، هذا الكون الذي جعله بديعا متنوعا لا تنافر فيه، قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ) الملك:٠٣، كما اقتضى حكمته تعالى أن يخلق الناس مختلفين في اللون واللسان، وهي آية من آياته الكونية الدالة على قدرته وعلمه وحكمته تعالى، فقال: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) الروم:٢٢، وهذا التنوع الغرض منه بيان قدرته تعالى وعظيم خلقه وتصرفه في الخلق، وهو ابتلاء الناس بعضهم ببعض، كما أنه يؤدي إلى التكامل والتعاون بين أفراد البشر.

والناس متفاوتون من حيث المواهب والقدرات، ليتحقق بينهم سنة التسخير والتوظيف، قال تعالى: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) الزخرف:٣٢، وعلى هذا التنوع على مستوييه الخِلقية والوظيفية يجعل الناس جميعا على اختلاف أديانهم ينتفع بعضهم من بعض، ويسعى بعضهم من أجل خدمة البعض، وهذا التوظيف لهذا التنوع لا يتحقق إلا في ظل الأمن والتعايش، واحترام الشعوب بعضها لبعض.

ومن سنن الله تعالى التي أجراها في خلقه الاختلاف والتنوع، سواء في الخِلقة والرّزق والكسب، أو في الفضائل والدّين والخُلق، فالناس ليسوا أمة واحدة بل مختلفين ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في بعض الآيات، منها قوله تعالى: (وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) البقرة:٢٥٣، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ النحل:٩٣، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً

وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ هود:١١٨، قال الإمام الطبري: (يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك، يا محمد، لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة، ودين واحد)[١]، وقال أيضاً: (فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء: ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى، من بين يهودي ونصراني، ومجوسي، ونحو ذلك)[٢]، وقال ابن كثير: «يخبر تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة، من إيمان أو كفران، كما قال تعالى :﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ يونس:٩٩، وقوله: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾، أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم، واعتقادات مللهم ونحلهم، ومذاهبهم وآرائهم)[٣].

ولم يكن هذا الاختلاف ليؤدي إلى العداوة والبغضاء لو ساد بين الأمم والشعوب القبول والتعايش والحوار، لكنها أبت إلا التقاتل والتحارب، فساد بينها الخوف وشهوة السيطرة، وجشع النهب، وطمع التوسع، وفقدان الثقة، وأدى إلى انتشار النزاعات بين الشعوب، وتوسّع الحروب بين الأمم، وغلبت لغة القوة على مسلك الحوار، ولولا سنة التدافع التي هي من سنن الله تعالى في الحياة لهلكت البشرية، و لضعف الحق وطغى الباطل، وغلب الكفر على الإيمان، ولساد الفساد وقلّ الصلاح وعمّ الشر، قال تعالى: (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) البقرة:٢٥١، وقال: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحج:٤٠.

---

[١] الطبري، تفسير الطبري، ج:١٥، ص:٥٣١

[٢] الطبري، المرجع نفسه.

[٣] ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط٧، سنة١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ج:٣، ص:٥٨٦

إن عدم إدراك البشرية لغاية وجودها في الأرض واتخاذها طريق الغي والفساد سبيلا، جعلها تسيء استثمار نعمة التنوع والاختلاف ولا تحسن توظيفها في الخير والصلاح، فَحُرِمت من مقاصدها، التي منها التسخير وتبادل المنافع وتوطيد العلاقات بين أجناس المعمورة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات:١٣، والمقصود بالتعارف الوارد في الآية ليس مجرد الوقوف عند حدود التعارف فقط، وإنما التعارف الذي يثمر التعاون والتبادل بين الناس، يؤكد هذا المعنى أن الخطاب فيها لعموم الناس، مما يدل بأن المسألة هنا تهمّ الإنسانية كلّها، وليست خاصة فقط بالأمة الإسلامية.

ثالثاً: مبادئ التعايش السلمي في القرآن الكريم:

هناك عدة مبادئ يتأسس عليها التعايش السلمي، ومن أهمها:

١. كرامة الإنسان واحترام ذاته:

أعلن القرآن الكريم منذ نزوله عن قيمة الإنسان ومكانته ورسالته، فأخبر عن نشأته وأطوار خلقه، وخصّه بتفصيل مراحل وجوده بدءا من مرحلة الطين إلى أن يصير إنسانا سويا، تقديرا وتكريما له، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) الحج:٥، وقال: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) غافر:٦٧، وجعله خليفة في الأرض يعمرها بالخير والصلاح، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) البقرة:٣٠. ثمّ بيّن سبحانه وتعالى أنه تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأعلى من قدره، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن

صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ) الحجر:٢٨-٢٩. كما أخبر سبحانه وتعالى أن الإنسان خلقه الله تعالى في أحسن هيأة، فقال: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) التغابن:٣، وقال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) التين:٤، ثم أسجد له الملائكة، فقال تعالى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ) ص:٧١-٧٤.

ونتيجة ما حبى الله تعالى به الإنسان من التكريم والتقدير كان محل حسد شديد من إبليس الذي رفض السجود لآدم، وعصى أمر ربّه عزّ وجلّ، قال تعالى مخبرا عنه: (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) الأعراف:١٢، وقال تعالى: (قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) الحجر:٣٣، فاستحق اللعن من الله تعالى إلى يوم الدّين، قال تعالى: (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الحجر:٣٤و٣٥. ثم أعلن القرآن الكريم بعد ذلك أن الإنسان مهما كان جنسه ودينه ولغته مكرّمٌ ومحترم[١]، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) الإسراء:٧٠.

قال الزمخشري في تفسيره: (قيل: في تكرمة ابن آدم :كرّمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، وقيل: بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم)[٢]. وعلى

---

[١] عادل عبد الله صبري هندي، التعايش السلمي ومقاصده: مجتمع المدينة المنورة نموذجا، حولية كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، العدد:٣٦، المجلد:٢، ٢٠٢٢/٢٠٢٣م، ص:٩٤

[٢] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، تفسير الكشاف، ج:٣، ص:٥٣٤

أساس هذه الكرامة الإلهية للإنسان، أوجب الإسلام احترام كل إنسان لذاته، فلا يجوز الاعتداء عليه أو ظلمه أو إهانته وإذلاله حيًّا وميّتًا، أو التمثيل بجثته ولو كان غير مسلم.

إن مبدأ الكرامة الإنسانية يوجب على جميع البشر احترام بعضهم بعضا، فلا يعلو أحد على أحد، ولا يفتخر جنس على جنس، فلا فضل بعضهم على بعض إلا على أساس الصلاح وفعل الخير. فالبشر كلّهم سواسية مُكَرَّمون، وهذا المبدأ يجعلهم يتعايشون ولا يتعادون، يتقاربون ولا يتباعدون، ويتبادلون الاحترام ولا يتعايبون.

٢. العدل:

العدل مقصد عظيم من مقاصد الإسلام، وهو مبثوث في كل أحكامه وتشريعاته، يتجلى ذلك في كثرة النصوص القرآنية التي تشيد به وتحث عليه، سواء بين المسلمين فيما بينهم، أو بين المسلمين وغيرهم.

فالعدل من أسماء الله تعالى الحسنى، وأمر به عباده جميعا، فقال: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النحل: ٩٠.

ولأهمية العدل وضرورته في قيام المجتمعات واستقرارها، وثبات نظام الملك فيها، حثّت عليه جميع الشرائع، كما دعت إليه القوانين الوضعية، مما يدل على أن العدل مطلب إنساني، تتشوف إليه النفس البشرية، وتتطلع إليه جميع المجتمعات على اختلاف أديانها.

والنفس بطبيعتها تحب العدل وتحترم من يتحلى به، وتكره الظلم ومن يتصف به. لذلك كان العدل من الصفات الأساسية للأنبياء والرسل، وقد غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً من أحد الناس عندما قال له: (اعدِل يا محمَّدُ فإنَّكَ لم تعدِلْ)، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة

محذّرا إياه: (ويلَكَ ومَن يعدلُ بعدي إذا لم أعدِلْ)[1]، فنفي العدل عنه صلى الله عليه وسلم قدْحٌ في نبوته ورسالته وأخلاقه و قدوته للناس.

وقد جعل الإسلام العدل أساس بناء المجتمع الإسلامي، ودعامة قوية لقيام نظام الحكم فيه، وتماسك أركان الدولة واستمرارها، فالعدل أساس الملك كما قيل قديما، والظلم خراب المجتمعات وزوال الدول وحلول العقاب من الله تعالى، وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلًا بعنوان: "الظلم مؤذن بخراب العمران"، بيَّن فيه أن الظلمَ إذا انتشر، خربت البلادُ، واختلَّ حالُ العباد[2]. قال جلّ وعلا: (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا) الكهف:٥٩.

والعدل وسيلة لوجود روابط قوية بين الناس، والتقرب من بعضهم البعض، وانتشار السلام بينهم، وإيصال الحقوق إلى أصحابها.

وفي القرآن الكريم أمر لكافة المسلمين بإقامة العدل في كافة مستويات التعامل، ومع كل الناس[3]. كما نجد القرآن الكريم يأمر المسلمين بإقامة العدل مع المخالفين لهم في الدّين، وبذل الحقوق لهم، وحسن معاملتهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) المائدة:٨، بل

---

(1) وتمام الحديث كما ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» رواه مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رقم:١٠٦٣. وأخرجه البخاري (٣١٣٨) مختصراً.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٥، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص:٢٨٦ وما بعدها

(3) عادل عبد الله صبري هندي، التعايش السلمي ومقاصده، ص:٩٥

يأمر القرآن الكريم بحسن معاملة غير المسلمين إذا كانوا مسالمين، ولا يحيكون الدسائس للمسلمين، قال تعالى: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الممتحنة:٧و٨، وقال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) النساء:٩٠.

٣. المساواة:

الإسلام دين العدل والمساواة، يتجلى ذلك في خطابه وأحكامه ودعوته، فهو يعتبر الناس كلَّهم سواسية، يسوي بينهم جميعا في الحقوق والواجبات، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات:١٣، وهذا خطاب من الله تعالى للناس كافة، وهو يدل دلالة واضحة على مبدأ المساواة الذي أقرّه الإسلام، فكلهم خلقوا من ذكر وأنثى، وكلهم وُلدوا من ماء مهين، فلا مجال للتفاخر أو التمايز.

وتتجلى مظاهر المساواة في الإسلام في كل المجالات، منها المساواة أمام الأحكام الشرعية والخطاب، بغض النظر عن الغنى أو الفقر أو الجاه، فليست هناك أحكام خاصة بالفقراء أو الأغنياء أو الحكام، فكلّهم خوطبوا بنفس الأحكام، فحين سرقت امرأة ذات مكانة في قومها، واستحقت إقامة الحد، أراد قومُها أن يشفعوا لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أقرب الناس إليه وهو أسامة بن زيد، فغضب غضبا شديدا، فقد جاء في السنة عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ

أُسَامَةُ [ص:١٥٢] فِيهَا، تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ» ، قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ خَطِيبًا، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١].

وعندما عيّر الصحابي الجليل أبو ذر صحابي آخر بأمه السوداء: غضب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له : (إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّة)[٢].

ومنه المساواة بين الرجل والمرأة في مجال عموم التكليف والعمل الصالح، فهو ميدان للمنافسة بينهما، كما أن الجنة ونيل درجاتها محل مسابقة بينهما، فإذا استطعن النساء أن يكن أكثر من الرجال دخولاً إلى الجنة فلهنّ ذلك، قال الله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى

---

[١] رواه البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ مَقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ زَمَنَ الفَتْحِ، رقم:٤٣٠٤

[٢] وتمام الحديث: عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ») رواه البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ، رقم:٣٠ – مسلم، كِتَابُ الْأَيْمَانِ، بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ، رقم:١٦٦١

بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) آل عمران:١٩٥، وقال: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) النساء:١٢٤، (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النحل:٩٧، وقال: (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) غافر:٤٠، وسوى بينهما في حقّ التملّك قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوْا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ) النساء:، كما جعل لكل منهما الحق في الميراث، قال تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُوْنَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُوْنَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيْبًا مَفْرُوْضًا) النساء:.

إن أحكام الإسلام قائمة كلّها على العدل والمساواة، وهو مبدأ أقرّه على الجميع، دون تمييز أو تفرقة على أساس الجنس، أو العرق أو اللغة أو الدين، فكل إنسان كامل الحقوق يُعامَل بما يعامل به غيره، فليس هناك تفرقة أو طبقية داخل المجتمع الواحد، وليس هناك تمييز بين الأمم والمجتمعات، فليس هناك شعب أفضل من شعب، أو جنس أفضل من جنس، وليس هناك قبيلة أفضل من قبيلة.

إن الإقرار بهذا المبدأ والقناعة به والتسليم بمقتضياته، يجعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض نظرة احترام وتقدير، فيتعايشون، ويتواصلون فيما بينهم، ويقترب بعضهم من بعض، أما إذا غاب هذا المبدأ، وانتاب النفوس الاستعلاء والفخر، وأحست كلّ أمّة أنها أفضل من الأخرى، حدثت القطيعة وانتشرت العداوة ووقع الاعتداء والتقاتل.

ولا شك أن النزعات العنصرية حالات دون تعايش الشعوب وتعاونها، وسادت بينها حروب ونزاعات، وقد عالج الإسلام هذه المشكلة منذ مجيئه وأعلن في الناس أنهم سواسية، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، وإنما يتفاضلون بتقوى النفس وصلاح العمل، قال النبي صلى الله عليه

وسلم: (لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أبيضَ إلَّا بالتَّقوَى، النَّاسُ من آدمَ، وآدمُ من ترابٍ)[1].

وفي رواية عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربِيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ)[2].

رابعاً: التعايش بين أهل الأديان من خلال القرآن الكريم: (أهل الكتاب أنموذجاً)

تحدّث القرآن الكريم كثيراً عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وفصّل أحوالهم وصفاتهم تفصيلاً دقيقاً، ونبّه إلى أن علاقتهم مع المسلمين ستستمر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة.

ورغم ما ذكره القرآن الكريم من شدة عداوتهم للمسلمين وبخاصة اليهود، والتحذير من موالاتهم على حساب الدّين والعقيدة، والحذر من كيدهم ودسائسهم، إلا أنه بيّن كيف يكون موقف المسلمين منهم.

وقد وقف القرآن الكريم من أهل الكتاب موقفاً أخلاقياً سامياً، حيث أمر المسلمين بالإيمان بكتبهم ورسلهم، قال: (قولوا آمنا بالله) فالقرآن الكريم أقر تعايش المسلمين مع اليهود والنصارى تعايشاً سلمياً، ودعا إلى التحاور معهم بكل احترام دون عنف ولا شدة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت:٤٦، والبحث عن القواسم المشتركة بينهم وبين المسلمين، فقال: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ

---

[1] وصححه الألباني في شرح الطحاوية، رقم:٣٦١،

[2] أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، ج:٣، ص:١٠٠ – والبيهقي في شعب الإيمان، رقم:٥١٣٧ – وصححه الألباني في غاية المرام، رقم:٣١٣

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ آل عمران:٦٤.

ولقد استجاب المسلمون إلى دعوة القرآن الكريم عن إيمان ورضا للتعايش مع أصحاب الأديان الأخرى وبخاصة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، باعتبارهم أقرب إلى أهل الإسلام، ما لم يظلموا أو يعتدوا، وأجاز للمسلمين مخاطبتهم والتحاور معهم وجدالهم بالتي هي أحسن، ومدّ روابط تبادل المصالح معهم، دون إلزامهم بالتخلي عن معتقداتهم، فالإسلام جعل الناس أحرارًا في اختيار ما يعتقدون، لأن الحق بات واضحا، والدِّين صار بينا، وقد تبين الرشد من الغي بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) الغاشية:٢١و٢٢.

فالحوار والجدال مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن انطلاقًا من بعض القواسم المشتركة في أصول والعقيدة، كالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والملائكة وفعل الخير، قد يثمر توثيق العلاقات معهم، والتعايش معهم، والقرآن الكريم يؤكد على تحري هذه القواسم لأجل التقارب والتعايش، قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٦٢، وقال: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة:١٣٦.

إن هذه الدعوة القرآنية للحوار والتقارب والتعايش مع أهل الكتاب، للدلالة على أن المسلمين أناس مسالمون، ولا ينشرون دينهم بالقوة، ويقرّون حرية العقيدة، يسعون من أجل خير البشرية، وإشاعة الأمن في العالم، ليست لهم عداوة مع أحد، وليسوا ضد أحد، وإنما هم ضد الظلم والاعتداء.

ويرتقي القرآن الكريم بمستوى علاقة المسلمين مع غيرهم وبخاصة أهل الكتاب إلى درجة البر والإحسان سواء أكانوا مقيمين داخل المجتمع الإسلامي أو

خارج ديار المسلمين، قال عزّ وجلّ: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة:٨. أما داخل المجتمع الإسلامي فإن الإسلام يعتبر غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم أو ما يسمى بأهل الذمة، مواطنين لهم كامل الحقوق المادية والمعنوية، منها تأمينهم على أرواحهم وعصمة دمائهم، وعدم ظلمهم أو الاعتداء عليهم، بل يجب حمايتهم والدفاع عنهم[١]، وصون كرامتهم وحسن معاملتهم، ومنها ضمان حرية ممارسة شعائرهم. وعدم سب دينهم، بل القرآن يحث على التقارب معهم، بإباحة طعامهم والزواج من نسائهم، قال تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) المائدة:٥.

ومن صور التعامل معهم استعمال أوانيهم ومختلف أدواتهم حيث يجوز للمسلم استعمال أواني غير المسلمين وصنائعهم مع التورع من النجاسات، فعن جابر رضي الله عنه قال: (كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصيب من آنية المشركين وأسقيتهم، فنستمتع بها فلا يعيب ذلك عليهم)[٢]. ومنها عيادة مريضهم، وقد اعتبرها المسلمون من البر والقسط، وهو فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ،

---

[١] وكان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس حرصا على رعاية حقوق أهل الذمة، فعن عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ» رواه البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: يُقَاتَلُ عَنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَلاَ يُسْتَرَقُّونَ، رقم:٣٠٥٢

[٢] أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب الأكل في آنية أهل الكتاب، رقم:٣٨٣٨.

فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[1]. ومنها القيام لجنائزهم، وكان صلى الله عليه وسلم إذا مرت عليه جنازة قام لها ولو لغير مسلم، فعن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا»[2].

وقد جسّد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون من بعده هذه الأخلاقيات في تعاملهم مع غيرهم، بداية من دولة المسلمين في المدينة، وكان فيها الوثنيون وقبائل من اليهود وهم أهل كتاب، فنظّم النبي صلى الله عليه وسلم علاقة المسلمين بهم، عن طريق عقد اجتماعي مكتوب سمي بوثيقة أو صحيفة المدينة، تراضوا عليه جميعاً كان بمثابة دستور، بيّن فيه الحقوق والواجبات، وكيفية النصرة والدفاع عن المدينة، وكيفية التعامل مع مستجدات الأحداث.

وأما خارج الديار الإسلامية، فإن منهج الإسلام واضح، يتمثل في السلم ومسالمة الغير وكف الأذى وعدم الاعتداء أو العدوان، إلا عند مواجهة اعتدائهم أو صدّ عدوانهم، قال تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) الأنفال:٦١، ويقول تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ

---

(1) رواه البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ رقم:١٣٥٦

(2) – رواه البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ، رقم:١٣١٢

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) النساء:٩٠. بل حتى في حالة الحرب مع الأعداء، فإن الإسلام يحرم على أتباعه الظلم والبغي والغدر والخيانة[١]، فللحرب والقتال أخلاقيات وآداب في الإسلام[٢]، وقد تجسّدت تلك الأخلاق السامية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسلمون من بعده فيما يُعرف بالفتوحات الإسلامية التي قادوها منذ عهد الخلفاء الراشدين. فلم يرغموا أحدا على ترك دينه والدخول في الإسلام، ولم يتعرضوا لأماكن العبادة وشعائرهم[٣]، ولم يهدموا البيع والصوامع والكنائس.

ومن جملة ما عامل به النبيُّ صلى الله عليه وسلم أهلَ الكتاب قبول هداياهم، منهم المقوقس عظيم مصر

---

[١] فعن عمرو بن الحمق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى دَمّهِ فَقَتَلَهُ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ القَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ المَقْتُولُ كَافِرًا) رواه البخاري في التاريخ والطبراني في المعجم الصغير.

[٢] ومن هذه الآداب النهي عن قتل النساء والأطفال. فَعن نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً، «فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ» البخاري، كتاب المغازي، بَابُ قَتْلِ الصِّبْيَانِ فِي الحَرْبِ، رقم:٣٠١٤ – مسلم، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي الْحَرْبِ، رقم:١٧٤٤

[٣] عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ (بريدة بن الحصيب الأسلمي) في حديث طويل، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...» رواه مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ، وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا، رقم:١٧٣١. وعلى هذا المنهج سار الخلفاء الراشدون والمسلمون من بعده.

حينما أهدى إليه بغلة وجاريتين[1].

وجاء في السنة عن أبي حميد الساعدي قال: (غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ[2] [3]. كما سمح الرسول صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين دخول مسجده في المدينة، فقد كانت تأتي الوفود من المشركين من العرب والنصارى واليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدخلون المسجد وينزلون فيه، كقصة وفد ثقيف، قال ابن القيم: "ومنها جواز إنزال المشرك في المسجد، ولا سيما إذا كان يرجى إسلامه، وتمكينه من سماع القرآن ومشاهدة أهل الإسلام وعبادتهم"[4].

ولما فتح المسلمون البلدان، ونشروا فيها الإسلام، وأقاموا فيها شرع الله تعالى، راعوا حقوق المواطنة للأقلية الدينية من أهل الذمة، ولم يضيّقوا عليهم لا في معتقداتهم ولا في ممارسة شعائرهم، وأنصفوهم في المعاملة، اقتداء بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة أهل الكتاب، وبسيرة الخلفاء الراشدين. وذكر أبو يوسف في كتاب الخراج أن عمر بن الخطاب مرّ بباب قوم وعليه سائل يسأل، فوجده شيخاً كبيراً ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: أنظر هذا وضرباؤه، فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند

---

[1] ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط-، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج:٣، ص:٦٩٢

[2] (بِبَحْرِهِمْ) أي بقريتهم

[3] رواه البخاري، كتاب الجزية، باب إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم، رقم:٢٩٩٠، ورواه في كتاب الزكاة، باب خرص التمر، رقم:١٤٢٣

[4] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج:٣، ص:٦٠٠

الهرم، (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ) والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[١]. وعنه أيضا أن عمر مرّ بطريق الشام وهو راجع في مسيره من الشام على قوم من أهل الذمة حبسوا لأنهم لم يؤدوا الجزية، فقال: ما بال هؤلاء؟ فقالوا: عليهم الجزية لم يؤدوها، فقال عمر: فما يقولون هم وما يعتذرون به في الجزية، قالوا: يقولون لا نجد، قال: فدعوهم لا تكلفوهم ما لا يطيقون، وأمر بهم فخلى سبيلهم[٢].

خامساً: مقومات وعوامل تحقيق التعايش من خلال القرآن الكريم[٣]:

المقوم الأول: الأخوة الإنسانية بين البشر:

فقد جاءت نصوص قرآنية كثيرة تؤكد على البعد الإنساني للشريعة الإسلامية، وأنها رحمة للعالمين، وأن الناس كلهم من آدم وآدم من تراب فلا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، وإدراك هذا المعنى يجعلهم يستشعرون القرابة الإنسانية، فيعيشون مع بعضهم البعض في تعاون وأمان، ويسود بينهم الاحترام المتبادل. والقرآن الكريم يعتبر الناس جميعا إخوة من حيث الأصل والنشأة، أي من حيث الإنسانية[٤]، فوحدة الخلق والأصل، يقتضي منهم مبادلة الحب والاحترام، والتقرب منهم، فهي من باب صلة الرحم في دائرة الأخوة الإنسانية، فيتعايشوا ولا يتقاطعون أو يتدابرون[٥]، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ

---

(١) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم القاضي، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص:١٢٦

(٢) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص:١٢٥

(٣) فوزي خيري كاظم، التعايش السلمي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق – دراسة وصفية تحليلية، المرجع السابق.

(٤) عادل عبد الله صبري هندي، التعايش السلمي ومقاصده، ص:١٠٠

(٥) إبراهيم محمد، التعايش السلمي في ظل التعاطف والتسامح، الحوار المتمدن، المرجع نفسه.

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء:٠١، فربهم الذي خلقهم واحد، وأبوه واحد، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) الأنعام:٩٨.

وفي السنة عن جابر بن عبدِ اللهِ رضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَطَبَ أصحابَه في حَجَّةِ الْوَداعِ في أوْسَطِ أيَّامِ التَّشْريقِ فقال: (يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربِيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ)[1]، وكلهم خلقوا من ماء مهين، من ذكر وأنثى، فلا يطغى بعضهم على بعض، ولا يعلو بعضهم على بعض،

قال تعالى: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى) النجم: ٤٥ -٤٧

والخطاب بصيغة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) عام لجميع الناس وليس لأهل مكة كما ذهب لذلك بعض المفسرين، لأن ظاهره يشمل الجميع دون استثناء، ولا دلالة هنا على تخصيصه، بل إن ارتباط الكلام بالتقوى يؤكد على شمول العموم به. ومنّ الله تعالى علينا بأن خلقنا من نفس واحدة، والناس جميعاً أخوة في الإنسانية، هذه الإنسانية رغم ما فيها من اختلاف الأجناس والألوان والأديان تعتبر وحدة مترابطة، يؤكد هذا المعنى قولته تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات:١٣، فلا يجوز أن تكون تلك الاختلافات سبباً للعداوة بقدر ما هي زيادة في الإثراء المعرفي والثقافي. فهذا التنوع والاختلاف ننظر إليه كعامل إيجابي للتعارف والتنوع الثقافي.

---

[1] البيهقي، شعب الإيمان، رقم:٥١٣٧ - وأبو نعيم في حلية الأولياء: ١٠٠/٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح، ٥٨٦/٣

فالكل يرجع أصله إلى آدم، واختلاف الأعراق والقوميات والعقائد اقتضتها طبيعة العيش في الأرض وتطور الحياة، فلا كرامة لأحد على أحد إلا بقدر صلاحه واتباعه لشرع الله تعالى.

ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى بالتعارف والتواصل بين أفراد الجنس البشري على اختلافهم، لأن هذا التواصل هو أساس التقدم والرقي والتعايش وانتشار السلم، أما الافتخار بالعرق أو الجنس أو اللغة لا ينتج عنه سوى التباعد والتنافر، ويشيع ثقافة البغضاء بين الناس، ومن ثم فساد المجتمعات وتفكّكها وهلاكها. فجعل الناس على شعوب وقبائل حكمة الله تعالى في الخلق، يثمر التعارف والتناسب بين الناس، ويؤدي إلى شيوع المحبة والتآلف بين أفرادها، فتزدهر حياتهم ويتعايشون فيما بينهم، ويقتربون من بعضهم البعض، ويبتعدون عن البغض والتنافر والتناحر، الذي لا يكون منه إلا الهلاك والدمار وخراب الديار والعمران[1].

المقوم الثاني: عدم الإكراه والسيطرة[2]:

لقد فاجأ الإسلام الجميع بما جاء به من قيم ومبادئ خالف بها ما اعتداه الناس من أخلاق فاسدة استحسنتها عقولهم القاصرة وقبّحتها الشريعة السمحة؛ فدعا إلى مكارم الأخلاق وفضائل الآداب، ومحاسن العادات، وعامل الناس باحترام.

ذلك أن الإسلام كان حريصاً منذ مجيئه على احترام الجميع المخالفين وعدم جرح مشاعرهم، ترغيبا لهم في الدخول الى الإسلام؛ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في اللين والمعاملة الحسنة التي كسب بها قلوب الناس بشهادة القرآن الكريم في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ

---

[1] فوزي خيري كاظم، التعايش السلمي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق – دراسة وصفية تحليلية، المرجع السابق.

[2] المرجع نفسه.

لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) آل عمرام:١٥٩، وقال تعالى: (وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاء قَوْمٌ لّا يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) الزخرف:٨٨و٨٩، وقال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) الحجر:٨٥.

ومن جملة القيم التي قام عليها الإسلام، ودعا الناس إليها قيمة الحرية، فلا سيطرة على العقول، ولا حجر على التفكير، ولا إلزام في الاتباع، والإكراه بكل أشكاله المعنوية والمادية محرم شرعاً ولا يترتب عليه تكليف، وبخاصة إذا كان بغرض الإرغام على اتباع دين الإسلام، قال تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) البقرة:٢٥٦، فلا يجوز إكراه أحد من اليهود أو النصارى أو المجوس أو البوذيين أو غيرهم على ترك دينهم، أو التعرض لشعائرهم. فالإسلام كان واضحاً في أسلوب دعوته، هو انتهاج أسلوب إقامة الحجة والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فالقناعة بأحكام الدّين لا تكون بالإكراه أو بالقوة، والإسلام لا يريد تكثير سواد المسلمين بغير المؤمنين؛لأن الإيمان مسألة قلبية قبل أن تكون ممارسة وعمل، جاء في تفسير ابن عاشور عند قوله تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، قال: (وَنَفْيُ الْإِكْرَاهِ خَبَرٌ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، وَالْمُرَادُ نَفْيُ أَسْبَابِ الْإِكْرَاهِ فِي حُكْمِ الإسلام، أَيْ لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى إتباع الإسلام قَسرا، وَجِيءَ بِنَفْيِ الْجِنْسِ لِقَصْدِ الْعُمُومِ نَصًّا، وهِيَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى إِبْطَالِ الْإِكْرَاهِ عَلَى الدِّينِ بِسَائِرِ أَنْوَاعِهِ)[1].

وقد كان قتال المشركين على الإسلام مقرراً في صدر الإسلام، وفي الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ،

[1] ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط سنة١٩٨٤م، ج:٣، ص:٢٦

وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1]، ولكن حين خلصت بلاد العرب من الشرك بعد فتح مكة وبعد دخول الناس في الدين أفواجاً، وجاءت وفود العرب بعد الفتح تعلن إسلامها ومسالمتها، وتمّ مراد الله تعالى من إنقاذ العرب من الشرك والرجوع بهم إلى ملة إبراهيم، وتخليص الكعبة من رجس الشرك والأوثان، ومن تهيئة طائفة عظيمة لحمل هذا الدّين وحماية بيضته، وتبين هدي الإسلام وزال ما كان يحول دون اتباعه من المكابرة، وحقق الله سلامة بلاد العرب من عبادة الأصنام، فلمّا تم ذلك كلّه أبطل الله القتال على الدّين الوارد في آيات كثيرة، من مثل قوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[2] التحريم:٠٩، إلا عند الظلم والاعتداء والتضييق على دعوة الإسلام.

فقوله تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، وإن صرّح بحرية الدين، فهي تشير بطريق غير مباشر إلى احترام الديانات الأخرى، وعدم ظلم أتباعها، ولو باللسان، كسب آلهتهم ودينهم، قال تعالى: (وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) الأنعام:١٠٨.

المقوم الثالث: الحوار والجدال بالتي هي أحسن[3]:

كان الحوار ولا يزال أحد أهم الوسائل التي يستخدمها الانسان للتواصل مع الآخرين، للدفاع عن آرائه أو لإقناعهم، والحوار أسلوب راق ينتهجه أي فرد لتبليغ معلوماته، أو للحصول على معلومات، لذلك أشار القرآن الكريم إلى أهميته من خلال نماذج من الحوارات التي عرضها، سواء في حوار الله تعالى مع إبليس، أو في حوار الأنبياء مع أقوامهم، أو الحوار في قصة صاحب الجنتين، وغيرها، كما أولاه القرآن عناية في البرهنة على

---

[1] البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة: ٥]، رقم:٢٥

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٣، ص:٢٦

[3] فوزي خيري كاظم، التعايش السلمي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق – دراسة وصفية تحليلية، المرجع السابق.

عقيدة التوحيد ودحض عقائد الشرك، كما طلب من المسلمين أن ينتهجوا أسلوب الحوار في تبليغ حقائق الدين ومخاطبة المخالفين.

ولعل أشهر الحوارات التي عرضها القرآن الكريم الحوار مع المشركين، سواء في عرض حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه المشركين، أو مناظرة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم، ومما نقله القرآن عن ألسنة المشركين دفاعهم عن الشرك وإنكارهم للنبوة، قال تعالى: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ) ص:٤-٧.

وفي المقابل فقد ساق القرآن الكريم نماذج سامية ومنطقية وهادئة من حوارات النبي صلى الله عليه وسلم لقومه المشركين لبيان فساد شركهم وعبادتهم للأصنام، أو لأهل الكتاب وبطلان ما هم فيه من الدّين المحرف، قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) الأحقاف:٠٣، وقال أيضاً: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شيئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) الأحقاف:٧-٩.

وفي مستوى آخر من الحوار نجد نموذجاً آخر من دعوة القرآن الكريم بنصوص صريحة إلى محاور أهل الكتاب بأسلوب حسن هادئ يقرّبهم من المسلمين، ويقلل خلافاتهم معهم، والتنبيه على أنّهم أقرب للمسلمين منهم إلى المشركين، فالقواسم المشتركة بينهم كثيرة، وأس هذه القواسم عبادة الله تعالى الذي يؤمنون به جميعا، وهو موقف يؤكد سياسة القرآن الكريم في ترسيخ مبدأ التعايش بين المسلمين وغيرهم، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) آل عمران:٦٤، وقوله تعالى: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) العنكبوت:٤٦.

فهذه النماذج السالفة الذكر من الكتاب العزيز تؤكد منهج الإسلام في اتخاذ الحوار مبدأ في التعامل مع المخالفين في العقيدة، والتأكيد على طبيعة الحوار السلمية بمجادلتهم بالتي هي أحسن، والبحث معهم عن القواسم المشتركة التي تقرّبهم من المسلمين، ومحاولة ردم هوة الخلاف معهم. فالحوار يعتبره الإسلام أسلوبا حضاريا وفعّال في التواصل مع غير المسلمين، وهو الطريق الأقصر في إقامة الحجة والدعوة إلى الله تعالى، والوسيلة الأمثل في التعايش والتقارب بدل التباغض والتباعد، والأسلوب السلمي في تقريب وجهات النظر في القضايا ذات الاهتمام المشترك بدل من إحاكة المؤامرات والدسائس وتبادل الاتهامات.

المقوم الرابع: العفو والتسامح:

العفو والتسامح خلق إسلامي، وهو من الثمرات الطيبة للإيمان الصادق، مكّن للإسلام من أن يخطّ طريقه في الأمصار والبلدان، ويلج إلى النفوس بغير استئذان، وسط الصراعات والحروب التي أثقلت كاهل البشرية، وحادت بها عن مقصد وجودها في الأرض. فعملت شريعة الإسلام وتعاليمه السامية على تغيير المفاهيم وبث روح جديدة، ونشر فكر جديد، ونبذ كل أشكال الإكراه والعنف والسيطرة، والسير بالناس جميعا نحو التعارف والتسامح والعدالة والوفاء وحسن الجوار والعيش المشترك والتنافس في الخير[1]، وهذا المعنى هو أوّل ما خاطب به نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم النّاس عند وصوله في هجرته المدينة المنورة وبداية تأسيسه للدولة

[1] إبراهيم محمد، التعايش السلمي في ظل التعاطف والتسامح، الحوار المتمدن، المرجع السابق.

الجديدة، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ)[1].

هذه القيم جعلت الإسلام ينتشر بقوته الذاتية بمرونة وقابلية ورضا، لأنه دين ينسج مع الفطرة، يجد فيه كلُّ إنسان ضالتَه من الراحة النفسية والإشباع الإيماني والشفاء لحيرته والسكينة لقلقه، فدخل فيه الكثير من المسيحيين واليهود والمجوس والبوذيين عن طواعية واختيار، ولم يضر الإسلام بعدها تعصب بعض المسيحيين المتطرفين ذوي النزعة الاستعمارية، أو اليهود المتشدّدين ذوي المكر والخيانة، أو الأعداء الحاقدين ذوي التربص والخداع، فسيرة الإسلام الطاهرة وتاريخه الناصع شهد به أكبر مفكري الغرب من المستشرقين والفلاسفة[2].

ولا شك أهمية التسامح[3] وميل الناس إليه، وقد اعتبرته الشريعة مقصداً عظيمًا، وهو يدل على نزعة الإسلام السلمية، وطبيعة العلاقة التي يريدها في العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، يسودها الرحمة والإحسان، وتجنّب العدوان على الأنفس والأعراض والأموال.

والإسلام يدعو إلى التسامح بين المسلمين، وبين المسلمين وغيرهم، ويدين كل أشكال الإقصاء والكراهية واحتكار الصواب، ومكافحة ظواهر التطرف والعنف في أوساط المسلمين وبخاصة الشباب، والتأكيد على التواصل والمسالمة

---

[1] أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم:٢٤٨٥، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ – وابن ماجه، كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ، بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ، رقم:١٣٣٤. باختلاف يسير

[2] إبراهيم محمد، التعايش السلمي في ظل التعاطف والتسامح، الحوار المتمدن، المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

والتعايش السلمي، والعمل من أجل نشر خلق التسامح بين الشعوب والدول، وتبرئة الإسلام مما ألصق به من مظاهر العنف والتطرف، وخلق أجواء التعاون على أساس التسامح والتعارف.

المقوم الخامس: الوفاء بالعهود والمواثيق[1]:

الوفاء بالعهود من الآداب الإسلامية وعدم العدوان، بل إن الإسلام من خلال توجيهات القرآن الكريم يذهب إلى أبعد من ذلك، وهو وجوب الوفاء بعهودهم ومواثيقهم وعدم العدوان، قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) التوبة:٤. أما إذا وقعت خيانة، أو نبذ للعهد، فلا يكون معنى للوفاء بالعهود، قال تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) الأنفال:٥٨.

والوفاء بالعهود مع غير المسلمين أدب قرآني قوي، ومبدأ إسلامي متين، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ قَالَ: كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ وَكَانَ يَسِيرُ نَحْوَ بِلَادِهِمْ حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْعَهْدُ غَزَاهُمْ، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَوْ بِرْذَوْنٍ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَفَاءٌ لَا غَدَرَ، فَنَظَرُوا فَإِذَا عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يَحُلُّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ[2]. وحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[1] فوزي خيري كاظم، التعايش السلمي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق – دراسة وصفية تحليلية، المرجع السابق.

[2] أخرجه أبو داود واللفظ له، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الْإِمَامِ يَكُونُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ الْعَدُوِّ عَهْدٌ فَيَسِيرُ إِلَيْهِ، رقم:٢٧٥٩ – والترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِي الغَدْرِ، رقم:١٥٨٠.

وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ»[1].

إن الوفاء بالعهود يُعد عاملا مهما في ترسيخ الثقة والتعاون بين الأفراد والمجتمعات ككل، والثقة مسألة مهمة جدا، فهي إذا ترسخت في المجتمع أو في العلاقات ساد التآلف والمحبة، وشاعت ثقافة التسامح والتعايش، وإذا نُكثت العهود فقدت الثقة، وقلّ التعاون، وانعدمت الروح الإنسانية. لهذا شدّد الإسلام على مسألة المحافظة على العهود وعدم نكثها، فهي من الضمانات المهمة في استمرار التعاون الإنساني، وحذّر بشدة من نكث العهود والمواثيق لأنها من أسباب الضعف والتشتت والتقاتل.

سادساً: مستويات بناء ثقافة التعايش السلمي:

المستوى الأول: بناء ثقافة التعايش السلمي عند الفرد المسلم:

لن يُكتب للتعايش السلمي أن يسود وينتشر إلا بتربية الفرد على ثقافة التعايش وغرس فيه خلق التسامح، وهو أول مستوى يتجلى فيه تطبيق التعايش السلمي، وهو أساس إشاعته وانتشاره. فأحكام الشريعة السمحة يُستشّف منها مقصد الشريعة في بناء ثقافة السلم والتعايش في نفسية المسلم وسلوكه، نوّهت بها نصوص القرآن وزادتها السنة تأكيد وتمثيلا وتوضيحا.

ولقد عمل الإسلام على ترسيخ هذا المبدأ في نفوس المسلمين تأسّيا بمثلهم الأعلى المتمثّل في نبيّهم محمد صلى الله عليه وسلم، فجاء الخطاب القرآني واضحا ومباشرا في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم في كيفية معاملة غير المسلمين، فجاءت لفظ "قل" متكررة في آي الكتاب العزيز بما تحمله من توجيهات وتعاليم سمحة، "قل" لهم أنك بعثت رحمة للناس كافة، و "قل" لهم أنك تسالم من يسالمك و لا تحارب من لا يحاربك، و "قل" لهم أنك تفي بالعهود والمواثيق، و "قل" لهم أنك تجنح للسلم إن جنح العدو لها، و "قل" لهم أنك لا تلزم الكافرين أن يعبدوا ما تعبد، فلهم دينهم ولك دينك.

---

[1] أخرجه مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، رقم:١٧٨٧

فالقرآن الكريم يوجب على المسلم أن يتعايش أخلاقيا وسلوكيا مع غيره من الناس، فعليه أن ينظر إلى غيره من المسلمين نظرة أخوة ورحمة، فيحرم على المسلم أن يؤذي أخاه المسلم بأي نوع من أنواع الإيذاء المعنوي أو اللساني أو المادي، والباطني والظاهري، والخفي والعلني، ويدعوه إلى سلوك خلق اللين والرفق في المعاملة، والكلمة الطيبة والقول الحسن في المخاطبة استجابة لأمر الله تعالى، قال عزّ وجلّ: (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) الإسراء:٥٣، وقال: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا) البقرة:٨٣، وقال جلّ وعلا: (لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) النساء:، وقال أيضا: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) الأعراف:٣٣.

وفي السنة عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلِمُه ولا يُسلِمُه مَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه ومَن فرَّج عن مسلمٍ كُربةً فرَّج اللهُ بها عنه كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ ومَن ستَر مسلمًا ستَره اللهُ يومَ القيامةِ»[1].

وجاءت السنة النبوية بمنهج تربوي متوازن، فعمل النبي صلى الله عليه وسلم على تشكيل شخصية الفرد المسالم على ثقافة التعايش والتسامح، من خلال التربية بالقدوة الحسنة، ومن خلال توجيهاته المباشرة، من ذلك النهي عن الإيذاء باللسان، والتحذير من عواقبه الوخيمة، فهو طريق الهلاك والخسران، ويُباعد بين الناس، ويحدث بينهم الشحناء والعداوة والبغضاء، فعن عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه، رقم: (٢٤٤٢) – مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٤/ ١٩٩٦)، رقم:٢٥٨٠.

بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ.هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إيّاكم والفحش والتّفحّش، فإنّ الله لا يحبّ الفاحش المتفحّش، وإيّاكم والظّلم، فإنّه هو الظّلمات يوم القيامة، وإيّاكم والشّحّ، فإنّه دعا من قبلكم، فسفكوا دماءهم، ودعا من قبلكم فقطعوا أرحامهم، ودعا من قبلكم فاستحلّوا حرماتهم»[2].

الإسلام يحرم على المسلم ظلم الآخرين ولو كانوا غير مسلمين، والتعرض لهم، لأن ذلك يفضي إلى العداوة والقطيعة، ولخطورة الظلم كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتعوذ من الظلم إذا خرج من بيته، لأن الخروج من البيت فيه احتكاك بالناس وهو مظنة وقوع خلافات ونزاعات معهم، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»(٣).

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في التعايش، فكأن يألف ويؤلف، فكل من خالطه أحبّه، ومن جالسه اطمأن إليه، ومن عاشره ازداد به تعلقا، وكان عنصر جذب و تأليف بين الناس، وجمعًا للقلوب، وتوحيدًا للصفوف بخلقه وسلوكه وقوله ولينه وطيب نفسه، فعن أَبِي عَبْدِ اللهِ الجَدَلِيَّ يَقُولُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «لَمْ

---

(١) أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ، رقم:١٩٧٧.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له، وصححه الألباني في التعليقات الحسان

(٣) أخرجه أبو داود، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، رقم:٥٠٩٤ – واللفظ له، والترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، رقم:٣٤٢٧ – والنسائي، كِتَابُ الِاسْتِعَاذَةِ، الِاسْتِعَاذَةُ مِنَ الضَّلَالِ، رقم:٥٤٨٦ – وابن ماجه، كِتَابُ الدُّعَاءِ، بَابُ مَا يَدْعُو بِهِ الرَّجُلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، رقم:٣٨٨٤

يَكُنْ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا وَلاَ صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»[1]. وكان من منهجه التربوي توليه بنفسه تربية أصحابه، فكان يتابع سلوكهم ويوجّههم ويعوّدهم على الخلال الحسنة والآداب الفاضلة، ويرشدهم إلى ما فيه خير وألفة، وينهاهم عما فيه شر ونفْر وقطيعة.

وفي السنة أحاديث كثيرة تحث المسلم على اللين والرفق والتجاوز في علاقاته الأسرية والجوارية والاجتماعية، وهذا الخلق الجميل كفيل بتقوية العلاقات وتمتين الروابط وتعزيز الصلات، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»[2]، وفي صحيح مسلم عَنْ جَرِير بن عبد الله البجلي عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»[3].

إن هذه التوجيهات القرآنية والآداب النبوية التي حرص الإسلام على تربية الفرد المسلم عليها كفيلة بأن تجعله فردا مسالما متسامحا، يتعايش بودّ[4] واحترام، ويأمن الآخرون جانبَه، ويسعى للتعاون وخدمة الصالح العام، ويأمنه الناسُ على بيوتهم وأموالهم وأعراضهم، ويُكّن الاحترام والمحبة للآخرين، فيحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، ويُسعده ما يسعدهم، ويُحزنه ما يحزنهم، فيثمر ذلك كلّه الازدهار والرقي للأمّة ككل.

---

(1) الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي خُلُقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم:٢٠١٦، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَبُو عَبْدِ اللهِ الجَدَلِيُّ اسْمُهُ عَبْدُ بْنُ عَبْدٍ وَيُقَالُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدٍ

(2) أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّفْقِ، رقم:٢٠١٣. قال: وَفِي البَابِ عَنْ عَائِشَةَ، وَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

(3) مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ، رقم:٢٥٩٢

(4) قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) مريم:٩٦.

إن الفرد الذي له قابلية العيش مع الغير، ويسالم غيره وإن اختلفوا معه في الرأي والمواقف، ويجنح إلى العفو والتسامح هو في نظر الشريعة إنسان سوي في فكره وسلوكه، وهو فرد مؤهّل لأن يكون صالحًا وفعالاً يسعى لأجل نفع غيره وصلاح مجتمعه، وهو يمثل نموذجا للفرد الذي يتأسس به المجتمع الرسالي القدوة. أما الفرد الخشن العنفواني الألد الخصم، الذي ينازع غيره في كل شيء، ويفحش في الخصومة لأتفه الأسباب إنسان مبغوض من الله تعالى ومن الناس[1]، وهو يمثّل عقبة في إصلاح المجتمع، وعائقًا في تحقيق أمنه واستقراره.

المستوى الثاني: بناء ثقافة التعايش داخل المجتمع الإسلامي:

إن الإسلام يؤمن بالتعددية الفكرية، والتنوع في النظرات، والاختلاف في مجال الاجتهادات الفقهية والمذهبية والسياسية. فهو لا يحجر على العقل ولا على التفكير، إنه يفسح المجال لكل من يريد أن يقدم إضافات علمية أو يبدع أو ينتج، فليس هناك إقصاء ولا تهميش. ومما يدل على ذلك نشوء المذاهب الفقهية الكثيرة، بل نجد الاجتهادات الفقهية داخل المدرسة الواحدة، وهذا الاجتهاد الفقهي يعبر عن أرقى ما وصل إليه المجتمع المسلم في ضمان حرية الفكر والاجتهاد، وقد دعا الإسلام إلى ضرورة التعايش بين الجميع، فهو الذي يجعل حيوية وحركية ونموا في المجتمع، ويؤدي إلى الإبداع والثراء والتنوع والتكامل بين أفراد الأمة ككل.

والقرآن الكريم يصور لنا المجتمع الإسلامي في سلوكه وعلاقاته، فهو مجتمع قائم على الأخلاق الحسنة، والاحترام بين أفراده، فلا مكان فيه للأذى القولي أو

---

[1] عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أبغضُ الرجالِ إلى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ) البخاري، كِتَاب المظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ} [البقرة: ٢٠٤]، رقم:٢٤٥٧ – ومسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَاب، بَابٌ فِي الْأَلَدِّ الْخَصِمِ، رقم:٢٦٦٨

الفعلي، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) الحجرات:١١و١٢.

والخطاب في هذه الآيات جاء بصيغة الجمع، فهو يخاطب جماعة المسلمين دون تمييز بينهم، ليبين أن هذه الأخلاق ذات بعد جماعي، وأن الغرض منها بناء ثقافة اجتماعية يسودها الاحترام والتعايش بين أفرادها، فالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب وسوء الظن والتجسس والغيبة سلوكات خطيرة تزرع التفرّق والتشتّت بين أفراد المجتمع، وتباعد بينهم، وتحدث فيهم الفتنة وتجنح بهم إلى التعاون على الإثم والعدوان.

وهذه الأخلاق السيئة التي ذكرها القرآن الكريم التي تصدر من لسان المسلم وفعله تعتبر أصول الأخلاق الاجتماعية الفاسدة، وجاء النهي عنها صريحا وشديدًا، وذلك لآثارها السيئة على العلاقات الاجتماعية.

ولا شك أن السلوك السيء واللسان البذيء لا يبنيان مجتمعاً هادئًا مسالما، بل يجعل أفراده يتدابرون ولا يتعايشون، يتنافرون ولا يتواصلون، فهم في عداوة مستمرة. والمعلوم أن صاحب السلوك السيء بعيد عن الناس، وقدره منحط بينهم، وهو ما أشار الحديث النبوي المروي عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ – أَوْ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ –» فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الكَلاَمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي القَوْلِ؟ فَقَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ – أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ – اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[1].

---

[1] البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ المُدَارَاةِ مَعَ النَّاسِ، رقم:٦١٣١ – مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ مُدَارَاةِ مَنْ يُتَّقَى فُحْشُهُ، رقم:٢٥٩١

فقد أشار الحديث إلى الخلق السيء كيف ينفر الناس من صاحبه، فهم يتحاشونه ولا يخالطونه اتقاء لأذاه، وعبر عنه بـ: (بئس أخو العشيرة)، أي أنه ليس أهلا للمعاشرة وبناء علاقات، فهذا فرد واحد قد تركه الناس اتقاء شره، فإذا كثرت مثل هذه النماذج في المجتمع كان أثرُها سيئًا، وأحدث تفككا في شبكة العلاقات الاجتماعية.

المستوى الثالث: بناء ثقافة التعايش في دائرة المجتمع الإنساني:

إن الإسلام يعتبر الإنسانيةَ كلَّها مجتمعا واحدا، لأنها ترجع جميعُها من حيث النشأة إلى أصل واحد، فلا فضل أمة على أمة، أو شعب على شعب، أو قبيلة على قبيلة، وهذا المعنى لم تعهده البشرية من قبل، فقد ساد بينها التفاخر والتمييز العنصري، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء: ١.

والقرآن الكريم يؤكد في مواضع متعددة أن البشر كلّهم خَلْقُ الله تعالى، خلقَهم لعمارة الأرض إلى أجل مسمى[1]، قال تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) هود:٦١. فعمارة الأرض ونشر الخير فيها مقصد عظيم في القرآن الكريم، وقد اعتبره بعضُهم من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، التي بها يكون صلاح العالم إضافة إلى مقصد التوحيد والتزكية، وهو مقصد دعا إليه كلُّ الأنبياء والرسل أقوامَهم، قال تعالى على لسان نبيّه شعيب عليه السلام: (وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) هود:٨٥، وقال أيضا: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) هود:٨٨.

---

[1] نصار أسعد نصار، أسس التعايش في الإسلام، مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية، جامعة دمشق، كلية الشريعة، ١٩و٢٠ رجب ١٤٣٠ هـ/ ١١و١٢ تموز ٢٠٠٩م.

كما شنَّ القرآنُ الكريم حملةً شديدة ضد الفساد لما له من أثر في التفريق بين الناس، وخلق طبقية فيهم، وتقوية طائفة على طائفة.

فنجد آيات كثيرة تنهى عن الفساد، وتشنّع بفعل المفسدين الذين يشكّلون خطرًا على عمارة الأرض وصلاحها، والفساد تتنوع صوره وتتعدد مجالاته، منه الفساد المالي كنموذج قارون الذي طغى بماله، قال تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) القصص:٧٦ و٧٧، أو الفساد في الحكم كنموذج فرعون، قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) القصص:٠٤، أو الفساد في الحرث والنسل، قال تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ) البقرة:٢٠٥، كما بين القرآن الكريم عاقبة المفسدين في الأرض، فقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) الفجر:٦-١٤. وقد أرسل الله تعالى موسى عليه السلام ليضع حدا لفساد فرعون وحاشيته الذين بغوا في الأرض وجعلوا أهلها شيعا منقسمين غير متعايشين، يستعبد طائفة منهم، ويفضل بعضهم على بعض، ويقسوا على طائفة أخرى، فقال جلّ وعلا: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) القصص:٤-٦، وقال أيضا:

(كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ) الأنفال:٥٤

ومقصد عمارة الأرض لا يتأتّى له أن يتحقق في الوجود إلا إذا ساد العالمَ ثقافةُ التعايش السلمي والبعد عن الفساد والتقليل من مظاهره، حتى تكون الإنسانية متعايشة فيما بينها، يسود علاقتها الدولية السّلمُ والاحترامُ المتبادل وعدم الاعتداء أو التدخل في شؤون بعضهم البعض الداخلية. لكن للأسف صرنا نرى تفننا في ارتكاب الفساد وإيقاع الظلم باسم الشرعية الدولية، أو تحت غطاء حقوق الإنسان، أو باستعمال مظلة القانون الدولي الإنساني؛ فنحن نشهد فساداً كبيراً في العلاقات الدولية، وفي مداولات وقرارات الأمم المتحدة، والكيل بمكيالين في التعامل مع قضايا الشعوب وأزماتها، وهذا كلّه يعمّق الخلافات، ويباعد بين الدول، ويزداد الضعيف ضعفا والقوي سيطرة وهيمنة.

فالإسلام عندما جاء وجد القبائل والشعوب تتحارب فيما بينها لأتفه الأسباب، أو من أجل النهب والسيطرة، ويفتخرون بذلك وهي عندهم من البطولات والمآثر العظيمة، ويكاد يفني بعضُها بعضا، كما حدث بين بعض القبائل العربية، أو بين الإمبراطوريات الكبيرة كالفرس والروم، ثم في العصر الحديث الحرب العالمية الأولى والثانية، فكانت هذه الحروب وبالاً على الإنسانية ككل، فلم يأمن فيها أي فرد على نفسه وماله وعرض، أو شعب على أرضه، وحرمت البشرية من التواصل والتعاون وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

إن ثقافة السيطرة والاحتلال والنهب والاستعباد جرّبتها البشرية قرونا طويلة فلم تجن منها شيئا إلى الكراهية والخراب، وأدت إلى زوال حضارات وسقوط دول، وانهيار امبراطوريات، وزرعت في نفس الإنسان الخوف، وقتلت فيه روح الإبداع، فأراد الإسلام أن يضع حداً لذلك عن طريق التعايش والتعاون والاحترام المتبادل، بتطبيق تعاليمه والاحتكام إلى مبادئه وإشاعة قيمه السامية.

سابعاً: أثر وثمرات التعايش السلمي:

لا شك أن للتعايش ثمرات متعددة، وآثار إيجابية كثيرة، نقتصر على ذكر بعضها:

١. إشاعة الأمن في العالم:

إن الأمن نعمة عظيمة، ولأهميتها امتن الله تعالى بها على قريش، فقال: (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) قريش:٤. وكان من مقاصد الإسلام إشاعة الأمن في الناس، وتحصين الأمة الإسلامية خاصة والعالم ككل من شرور الحروب والتقاتل[١] الذي لا تجني منه البشرية إلا الخراب والعداوة المستمرة، التي تفقد الناسَ طعمَ الحياة، ويتشر فيهم الخوف، وتعمّق الأحقاد بينهم، فيحول ذلك دون استقرار حياتهم، فلا رقي ولا ازدهار.

والأمن مطلب عالمي تسعى إليه جميع الدول، وتتطلع إليه كل الشعوب، وما وجود هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن إلا من أجل إحلال الأمن والسلام في العالم، لكن للأسف عجزت هذه الهيأة العالمية عن إحلال السلام في كثير من مناطق العالم التي لا تزال تشهد الحروب والانقلابات العسكرية، كما في إفريقيا وآسيا وفي فلسطين المحتلة، بينما الإسلام استطاع أن ينشر السلام ويشيع الأمن بمبادئه السامية وتشريعاته السمحة، وآدابه الحسنة، فعاش الناس في ظل الحكم الإسلامي في أمن وأمان، فعن عدي بن حاتم الطائي قال: (بيْنَا أنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إذْ أتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يا عَدِيُّ، هلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟ قُلتُ: لَمْ أرَهَا، وقدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فإنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حتَّى تَطُوفَ بالكَعْبَةِ، لا تَخَافُ أحَدًا إلَّا اللَّهَ)[٢].

---

[١] عادل عبد الله صبري هندي، التعايش السلمي ومقاصده، ص:٧٩

[٢] وتمام عن عدي بن حات الطائي قال: (بيْنَا أنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إذْ أتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يا عَدِيُّ، هلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟ قُلتُ:

إن التعايش والحوار آلية فعالة في تحقيق الأمن، وتنقية النفوس من الضغائن والإحن والأحقاد، والجنوح بهم نحو السلم، وهو وسيلة لحث الناس على التحاور وحل خلافاتهم بالطرق السلمية، وهو فرصة لتضييق مساحات الخلافات، وخلق أجواء الهدوء والتقارب، وتيسير مجالات الحوار والتشاور.

٢. التعاون:

الإنسان بفطرته لا يقوى على العيش وحده، بحاجة إلى التعاون، أي بحاجة إلى من يؤازره ويعينه، فهو اجتماعي بطبعه، له علاقات وروابط مختلفة، تمكنه من تحقيق منافعه، والانتفاع بما عند الآخرين، والتعاون بين الأفراد والجماعات مقصد قرآني، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) المائدة:٠٢، ولأهمية التعاون فقد اعتبره القرآن الكريم من مقتضيات التقوى، وحذّر من الاخلال به من خلال ترتيب العقاب الشديد على مخالقة أوامر الله تعالى، هذا التعاون لا يتأتى إلا في بيئة آمنة، يتعايش أفرادُها فيما بينهم، ولولا التعاون لما حصل رقي ولا تطور ولا عمران، والمعلوم أن الحضارات التي قامت في العالم، وأنتجت ما أنتجت من العلوم والفنون والآثار العمرانية التي لا تزال شاهدة عليها

لَمْ أرَهَا، وقدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فإنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حتَّى تَطُوفَ بالكَعْبَةِ، لا تَخَافُ أحَدًا إلَّا اللَّهَ -قُلتُ فِيما بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِي: فأيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قدْ سَعَّرُوا البِلَادَ؟!- ولَئِنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، قُلتُ: كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ، ولَئِنْ طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِن ذَهَبٍ أوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَن يَقْبَلُهُ منه، فلا يَجِدُ أحَدًا يَقْبَلُهُ منه، ولَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أحَدُكُمْ يَومَ يَلْقَاهُ، وليسَ بيْنَهُ وبيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ له، فَلَيَقُولَنَّ له: ألَمْ أبْعَثْ إلَيْكَ رَسولًا فيُبَلِّغَكَ؟ فيَقولُ: بَلَى، فيَقولُ: ألَمْ أُعْطِكَ مَالًا وأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فيَقولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عن يَمِينِهِ فلا يَرَى إلَّا جَهَنَّمَ، ويَنْظُرُ عن يَسَارِهِ فلا يَرَى إلَّا جَهَنَّمَ. قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فمَن لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ. قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حتَّى تَطُوفَ بالكَعْبَةِ، لا تَخَافُ إلَّا اللَّهَ، وكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ، ولَئِنْ طَالَتْ بكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ ما قَالَ النَّبيُّ أبو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ) البخاري، رقم:٣٥٩٥ – مسلم، رقم:١٠١٦

إلا نتيجة تفاعل الأفراد وتعاونهم.

إن القرآن الكريم يطرح التعايش السلمي كأمر حتمي لتحقيق التعاون والتواصل الإيجابي والفعال، ونبذ الحرب والعنف والاقتتال، وكل ما يسبّب الفتنة ويؤدي إلى الخراب والدمار؛ لينعموا بالعيش المشترك الآمن[١]. فهو دين واقعي وعملي يبني علاقة المسلمين بغيرهم على قيم العدل والإحسان، لبناء الأوطان واستقرار المجتمعات، وتحقيق الرقي والازدهار، سواء بين أفراد المجتمع الواحد، أو بين الشعوب والدول[٢].

والأمة الإسلامية كانت الأمة الأولى التي أسّست لهذا التعايش القائم على التعاون، ودعت إليه من خلال التوجيهات القرآنية، وتطبيقات السنة النبوية، وكان النموذج الأول في مجتمع المدينة، من خلال وثيقة المدينة التي كانت بمثابة دستور وضعت أسس الدولة الإسلامية، وبيّنت حقوق وواجبات المواطنين، وأشارت إلى الحريات العامية، ومبادئ العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين من اليهود وغيرهم[٣].

٣. محاصرة ظواهر التطرف:

التطرف أو الغلو ظاهرة تدل على تجاوز حد الاعتدال والوسطية في القول والسلوك والمواقف، فهو يحمل في طيّاته معاني التعصب والتشدّد والتنطّع والعنف والإقصاء، ولعل من أسباب انتشارها هو تبني مفاهيم خاطئة أدت إلى تصرفات تتسم بالتطرف والغلو نتج عنها عنف وتقاتل وتباعد بين المسلمين، كما أدى بالبعض أو ببعض الطوائف تصنيف الناس، وتنصيب نفسه قاضيا

---

[١] مصطفى اليزبوعي، لمحة عامة عن التعايش السلمي بين أهل الكتب السماوية في القرآن الكريم، متاح على موقع https://www.arrabita.ma/blog/، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١

[٢] عادل عبد الله صبري هندي، التعايش السلمي ومقاصده، ص:٧٩

[٣] عادل عبد الله صبري هندي، التعايش السلمي ومقاصده، ص:٧٩

على غيره، وإصدار الأحكام على المخالفين بمجرد التباين في الاجتهاد أو الرأي[1].

إن الإسلام دين يسر وعدل ووسطية، ولم يقصد بشرعه إعنات الناس أو تكليفهم بما لا يطيقون. فسماحة الإسلام وبساطة أحكامه وسعة أصوله ومرونة قواعده واستجابتها لمستجدات كل عصر ومكان، كلها تدل على أنّ أحكامه دين قائم على مقصد التخفيف والتيسير ورفع الحرج سواء في العبادات أو في المعاملات أو في العادات.

وعليه فإن الإسلام يذم التنطع والغلو بمختلف مظاهره، ونصوص الشريعة واضحة في النهي عن الغلو[2]، وقد جاء في القرآن الكريم النهي عن الغلو بلفظه الصريح، في آيتين، الأولى في قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ) النساء:١٧١، وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) المائدة:٧٧.

وفي السنة عن ابْن عَبَّاسٍ قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: (هَاتِ الْقُطْ لِي)، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: (بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)[3]، ويؤيد هذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح الحديث النبوي السابق: (وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ) مبيناً معنى "الغلو"، فقال: (عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال.

---

[1] إبراهيم محمد، التعايش السلمي في ظل التعاطف والتسامح، الحوار المتمدن، المرجع السابق.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن، ج:٢، ص:٦١٧.

[3] رواه أحمد، رقم:١٨٥٤، ورقم:٣٠٧٨ – ورواه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، رقم:٣٠٠٧ — ورواه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، رقم:٣٠٢٠.

والغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك، والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) المائدة:٧٧، وسبب هذا اللفظ عام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلو فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار، ونحو ذلك، بناء على أنه أبلغ من الحصى الصغار ثم علل ذلك: بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين كما نراه في النصارى. وذلك يقتضي: أن مجانبة هديهم مطلقاً أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكاً)[1].

[1] – ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، ج:١، ص:٢٨٩و٢٩٠.

الخاتمة:

في ختام هذه الورقة يتبين أهمية التعايش السلمي.

وقد كان القرآن الكريم سبّاقاً في الحث على التعايش بين البشر، وفي أخطر مجال وهو الاعتقاد وممارسة الشعائر، ودعا إلى احترام أتباع الأديان بعضهم لبعض، كما نجد نصوصا واضحة الدلالة التي تبيح للمسلمين التعامل مع غير المسلمين ومحاورتهم.

وقد استطاعت تعاليم الإسلام أن تؤسس لثقافة التعايش السلمي ليس فقط بين المسلمين داخل المجتمع الإسلامي، بل حتى بين المسلمين وغيرهم على مستوى المجتمع الإنساني، فمثل هذا المقصد القرآني يمكن للبشرية أن تنعم البشرية بالأمن والسلام، والتعاون على الخير والصلاح، والبعد عن الحروب وكل مظاهر العنف والإقصاء وأشكال التمييز العنصري، ونزعات السيطرة، والنهب والاحتلال.

فالتعايش السلمي يجعل الناس يعيشون بسلام، وتنشأ بينهم علاقات الترابط بين الأمم، فبالتعايش يكون التعاون الفعال، وبه يحصل الرقي والتطور ويزدهر العمران، ويكون التواصل بين الثقافات والحضارات، وتبتعد الإنسانية عن الحروب والعنف والاقتتال.

والأمة الإسلامية كانت الأمة الأولى التي أسّست لهذا التعايش السلمي العالمي القائم على قيم الأخلاق والتعاون والعدل والحرية والمساواة، ودعت إليه من خلال التوجيهات القرآنية، وتطبيقات السنة النبوية، واستطاعت أن تبني حضارة عظيمة، وأن تنشر السلام في العالم، وأن تكفل حرية الدين، وتحمي الحريات، وهي تجربة رائدة حري بالبشرية اليوم أن تستفيد منها.

المصادر والمراجع:

١. ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط٧، سنة١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

٢. ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط سنة١٩٨٤م

٣. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط-، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

٤. أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم القاضي، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

٥. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل.

٦. نصار أسعد نصار، أسس التعايش في الإسلام، مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية، جامعة دمشق، كلية الشريعة، ١٩و٢٠ رجب ١٤٣٠ هـ/ ١١و١٢ تموز ٢٠٠٩م.

٧. عادل عبد الله صبري هندي، التعايش السلمي ومقاصده: مجتمع المدينة المنورة نموذجا، حولية كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، العدد:٣٦، المجلد:٢، ٢٠٢٢/٢٠٢٣م

٨. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٥، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٩. عبد الجبار الرفاعي، مقاصد الشريعة، حوار مع طه جابر العلواني، دار الفكر، دمشق، سنة ٢٠٠١م

١٠. مصطفى اليربوعي ، لمحة عامة عن التعايش السلمي بين أهل الكتب السماوية في القرآن الكريم، متاح على موقع https://www.arrabita.ma/blog/، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١

١١. ميثاق موسى عيسى، كلية الاثار–جامعة ذي قار، التعايش السلمي عند رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في الوقت الحاضر، بحث مقدم الى المؤتمر الوطني حول "الاعتدال في الدين والسياسة" يومي ٢٢ و٢٣ اذار ٢٠١٧، الذي عقد من قبل مؤسسة النبأ للثقافة والاعلام ومركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة كربلاء ومركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية، متاح على موقع https://annabaa.org/arabic/studies/21191،بتاريخ ٢٠٢٢/٠٩/٤

١٢. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ط سنة ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م

١٣. فوزي خيري كاظم، التعايش السلمي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق – دراسة وصفية تحليلية، منشور على موقع https://aijhssa.us/، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٠١.

١٤. التعايش السلمي وفقه المواطنة في الإسلام، متاح على موقع https://www.alshareyah.com/، تاريخ الاطلاع ٢٠٢٣/١٢/٠١

١٥. مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم، مشكلة الحرب والسلام، ترجمة شوقي جلال وسعد رحمي، دار الثقافة الجديد، مصر، ص:٢١٠ – مصطفى اليربوعي، لمحة عامة عن التعايش السلمي بين أهل الكتب السماوية في القرآن الكريم، متاح على موقع https://www.arrabita.ma/blog/، اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١